القدس العربي
AL-QUDS AL-ARABI

AL-QUDS Al - Arabi Volume 18 - Issue 5422 Friday 3 November 2006

السنة الثامنة عشرة ـ العدد 5422 الجمعة 3 تشرين الثاني (نوفمبر) 2006 ـ 12 شوال 1427 هـ

المشي والكلام

هوا طلق

أمجد ناصر

لا يجتمع، عندي، المشي والكلام. المشي مشي والكلام كلام. اظن ان اوامرهما تصدر من منطقتين مختلفتين في الدماغ. تعلمت المشي باكرا، ومذ ذاك وأنا أمشي. حتى وأنا جالس في مقهى يعج بالحركة والكلام وروائح البن والشاي والدخان أمشي. ولكن في داخلي. في دورتي الدموية. في ذاكرتي. في احلام يقظة جعلتني اصل الى اي مكان أريد واحصل على كل ما ارغب واكون ما اتمنى ان اكون. الجالسون وحيدون، مثلي، يمشون هم،ايضا، في مضاميرهم. قد تتقاطع طرقنا ولكن من دون ان نعلم.

اول مشيي كان مع جدتي (ثنية الدخيل)، وتلك التي بطول متر ونصف ، الموشومة الذقن، التي تجلس بين اكابر الرجال وافصحهم فتبزهم حكمة وبعد نظر، مشاءة كبيرة. تصلي الفجر وتمشي. احيانا تتأخر، وذلك من حسن حظي. الشيء الوحيد الذي كان يجعلني اصحو قبل رائحة شاي الصباح المدوخة هو المشي معها. فليذهب الشاي الى الجحيم ما دمت سأحظى بالمشي مع راوية السير، مخترعة الحكايات، ضاربة الامثال السديدة كسهام دقيقة التصويب.

في (جناعة)، الحي العشوائي في مدينة اردنية عشوائية تدعى (الزرقاء) ينام اهلها بعد صلاة العشاء مباشرة، كان الاسمنت الذي تثوي بين جدرانه وتحت سقوفه ارواح الأهلين الشقية يخنقها، فتحن الى البر. كان البر، لحسن الحظ، ما يزال موجودا على بعد كيلو متر واحد، فتسعى اليه وهي تعقد يديها القصيرتين وراء ظهرها وتصعد الهضبة الصغيرة في اتجاه سكة حديد الحجاز. وبسبب تعلقي الشديد بها فقد كنت امشي معها، وهي لم تكن تمانع. وعلى طول الطريق كانت تتوقف امام اعشاب ونباتات فقيرة، متناثرة، وتقطف منها أوراقا او عذوقا وتفركها ثم تشمها، تحتفظ ببعضها في يدها وترمي بعضها الآخر. كنت اقدِّر، وانا امشي جنبها، بقامة تناهزها ثم بقامة راحت، سريعا، تتجاوزها، انها كانت تحتفظ بالاعشاب ذات الروائح العطرية والعلاجية، مثل القيصوم، او الشيح، او البابونج، او رجل الحمامة.

من يدها انتقل هذا الطقس المنحني، بقداسة، على هبات طبيعة فقيرة الى يدي.

لم يكن المشي وقتا صالحا للكلام معها، فللكلام مكانه وزمانه الخاصان. انه في الجلوس على البرندة عصرا، بعد ميلان الشمس الشرسة الى الغروب، او في مستهل الليل. المشي صباحا هو للصمت، او الترنم بالقصيد، احيانا بـ (الهجيني). لم تكن تعلم جدتي شيئا عن (المشائين) و(المدرسة المشائية) ولكنها كانت، في الأقل، تفعل مثلهم: تمشي وتفكر. لم اعرف قط بماذا كانت تفكر. فهي لا تقرأ ولا تكتب، ولا تنتج اعمالا ذهنية. ولكنها بالتأكيد كانت تفكر. لعلها كانت تبلور افكارا وتأملات وحكايات سأسمع بعضها، فيؤجج مخيلتي ويغرس في أثلام روحي بذار احلام اليقظة المجنحة، او لعلها كانت تتأمل، في خريفها الطويل، مصائر راحلين كثيرين مشت معهم، هي ايضا، فراسخ واميالا من حياة لا يبقى منها إلا «العمل الصالح».

تعلمت المشي. هذا المشي بالذات. من (ثنية الدخيل) البدوية التي لم ترتفع عن الارض اكثر من متر ونصف ولكنها كانت تتحلى بخيال على هيئة نسر كاسر ينشر جناحيه الخافقين فوق ضيق المكان الذي انتهى اليه ابنها وعائلته في محجر اسمنتي مكلل بالغبار. اصبح للمشي معنى التفكير والصمت والغناء (لنفسي)، ولم يعد (قسدرة) للثرثرة مع الاصحاب، ولا مجرد وظيفة ميكانيكية تؤديها القدمان لحمل عبء جسد تورط في الحياة رغم أنفه.

* * *

نعرف (الكوجيتو) الديكارتي الشهير: أنا افكر إذن أنا موجود. الوجود هنا متحقق بوعي ذاته ووعي منزلته في العالم. إنه وجود لا يبرهن عليه التفكير فقط بل يجعله مميزا عن سواه. التفكير، هنا، هو اصل الكائن في العالم وهو علامته المسجلة، وبما ان المشي (كما هو عند الفلاسفة المشائين) مرتبط بالتفكير، فليس كثيرا ان نقول: نحن نمشي إذن نحن موجودون. مذ شعرت أن لي (عالمي) الداخلي الخاص. لي اسراري. لي تلك الصور والكلمات والترانيم التي تدوّم، على نحو غامض، في رأسي، صرت امشي وحدي. فقد صار المشي قابلة تلك الهمهمات والانثيالات الداخلية. على يديه تولد وتتجسد، وهو وحده القادر على ايجاد حل لاستعصاء الصور والمعاني. لذلك يربكني الذين يتكلمون وهم يمشون. خصوصا الذين يتكلمون بالهاتف المحمول (الموبايل، الجوال، المتنقل، الخليوي، اسماء مختلفة لآلة شيطانية واحدة) وهم يغذون الخطى الى مكاتبهم المكفهرة، الى مواعيد عمل مضجرة، الى مدارس كئيبة، الى لقاءات منذورة لفرح مأمول. لا افهم كل هذا الشغف بالكلام اثناء المشي، خصوصا، بتلك الآلة ـ الحجاب التي تسمى الهاتف النقال. لغط هائل يدوّم فوق المدن الكبرى، ثرثرة لا نهائية تطفو فوق رؤوس اناس لا يزيدهم الكلام الا وحدة وضجرا وعزلة.

(كلا، عيناي حزينتان)، هذا ما قالته سيدة ذات جمال مؤلم وروح مرفرفة، في هاتفها المحمول، وهي تغذ الخطى بوقع غزالة شاردة الى محطة قطار الانفاق، ثم قبل أن تتوارى سمعتها تقول: (هل تظنني سعيدة؟). ففكرت في الشخص الأبله، او الوحيد، الذي يغازل بتحفظ انكليزي بارد، على ما يبدو، امرأة كفرس عربية مطهمة، ثم فكرت ان الحزن والوحدة والكآبة يمكن ان تتجرأ، بوقاحة منقطعة النظير، على الجمال فتنهشه بمخالبها القذرة، وان هذا الهاتف الصغير قد يصلح لنجوى عابرة ولكنه لا ينقل حرارة الانفاس ولا انقباضات الأعماق ولا لغة العينين وتقلبات ألوانهما.

أعزو فشلي في اقناع الذين يتكلمون وهم يمشون الى خلل بين طرفي المعادلة. هناك خلل فعلا. ثمة شخص يتكلم وهو يمشي وشخص يصغي وهو جالس. الفجوة موجودة ولا سبيل الى ردمها. لا يكفي ان يقول لك الطرف الآخر: نعم .. صحيح .. بالتأكيد .. أنا معك، كي تردم الفجوة التي تفصلك عنه، او كي يصل السهم الى هدفه.

هذا يحصل، ايضا، عندما تكلم شخصا، وجها لوجه، وتنصرف عيناه الى تفقد أثاث المكان، او يتطلع، فجأة، الى قمصيك او حذائك فتتابعه، وأنت تتكلم بارتباك، بنظراتك لتعيد الاتصال مرة ثانية بعينيه. لتلقط خيط السمع والفهم الذي انقطع فجأة!

ليست الأذن التي تسمع فقط، إنها العين ايضا، فأن تكلم شخصا ولا ترى عينيه يعني انك فقدت الاتصال به. خرج عن المدار الذي تتحرك فيه. ألهذا يحرك الضريرون رؤوسهم، ويشخصون بعيونهم المطفأة في غير اتجاه، وهم يتحدثون او يصغون؟ ألا يبدو ذلك كأنهم يبحثون في سديم محاجرهم عن ذلك الشعاع الذي يصدر من العين التي تصغي او تتكلم؟

أرتبك عندما يهاتفني شخص وهو يمشي. أتصور أن الآخرين مثلي لا يركزون في الكلام وهم يمشون. كأن ما يقولونه مجرد ملء فراغ، او محاولة عبثية لتبديد وحشة مقيمة. ينتابي احساس مضحك ان الكلام يطير اثناء المشي. لا يرسخ. يطيش ولا يصل الى هدفه. أن تتكلم مع شخص يمشي، بالنسبة لي، هو جهد ضائع، فهناك حواس اخرى تعمل بقوة وتستولي على منطقة التركيز في الدماغ. هناك الحركة، البصر، الشم، التوازن. ولطالما اعدت الجملة مرتين او ثلاث مرات كي اتيقن انني اوصلت ما اريد. كمن يحاول، باستماتة، رمي سهم في قلب الهدف، لا بالقرب منه او على حوافه. لذلك اعيد، فأضجر من نفسي، واخشى ان يُضجر التكرار الطرف الآخر، او يشعره باستهانتي بقدرته على الفهم.

قد يقول: لماذا تعيد؟

او: لماذا تصرخ؟

هل انا اصم؟

عندها يتأكد لي، على نحو محزن، أن سهمي طاش. أصاب أي شيء آخر إلا هدفه.

الكاميرات تحاصر البريطانيين

■ لندن ـ يو بي آي: قال مفوض الاستعلامات في الحكومة البريطانية ريتشارد توماس ان بريطانيا تحولت الى مجتمع مراقب تحيط به الكاميرات من كل جانب.

وذكرت هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) ان كلام توماس جاء في أعقاب نشر بحث بيّن ان مراقبة تحركات الناس قد زادت.

وقال تقرير لشبكة دراسات المراقبة انه يوجد في بريطانيا حوالي 4,2 ملايين كاميرا للمراقبة،أي كاميرا لكل 14 شخصا.

وأضاف التقرير انه يتم استخدام تقنيات أخرى لتسجيل مستوى عمل الناس، وعادات الشراء والسفر. وتوقع التقرير ان تزداد المراقبة خلال العقد المقبل.

وقال المشارك في كتابة التقرير الدكتور ديفيد موراكامي ـ وود لبي بي سي انه مقارنة بدول غربية صناعية فان بريطانيا تعتبر «البلد الأكثر خضوعا للمراقبة».

وأضاف «لدينا كاميرات مراقبة اكثر وقوانين فضفاضة حول الخصوصية وحماية المعلومات».

وتابع قائلا «لدينا حقا مجتمع يستند الى تكتم الدولة، والى عدم تخليها عن حقها الافتراضي في إبقاء المعلومات تحت سيطرتها فيما تريد في الوقت نفسه معرفة ما يمكنها معرفته عنا».

وقال التقرير ان المراقبة تتراوح بين ما تقوم به وكالة الأمن القومي الأمريكي بمراقبة كل الاتصالات الهاتفية التي تمر عبر بريطانيا، وبين المعلومات التي تستخدم لقياس مستوى العمل ،ومعلومات الأقمار الصناعية العالمية التي تتعقب آليات الشركات.

ويركز التقرير على «المراقبة الالكترونية للمعلومات الشخصية» ـ وهي مزيج من بطاقات الاعتماد، والهواتف المحمولة، ومعلومات بطاقات التسويق الالكترونية.

ودعا توماس الى إجراء نقاش حول مخاطر ما إذا كانت المعلومات خاطئة أو احتمال وصولها الى أيدي غير أمينة.

وقال توماس انه فيما يمكن ان تساعد المراقبة في محاربة الإرهاب والجريمة، الا انها يمكن ان «تقتحم خصوصيتنا».

وسيقدم التقرير الى المؤتمر الـ28 حول حماية البيانات الدولية ومفوضي الخصوصية الذي يبدأ أعماله في لندن اليوم، ويستضيفه مكتب مفوضي الاستعلامات.

والمكتب هيئة مستقلة أنشئت بهدف الترويج للوصول الى البيانات الرسمية وحماية التفاصيل الشخصية.

ماتت قرب قبرها عقب اتمامه

■ امستردام ـ رويترز: أفادت صحيفة ان امرأة هولندية خططت بدقة لجنازتها عقب وفاة زوجها العام الماضي توفيت قرب قبرها في امستردام حيث رغبت في ان تدفن.

وقالت صحيفة «دي تلغراف» ان المرأة الارملة (65 عاما) ربما ماتت بنوبة قلبية أثناء زيارتها مقبرة عائلتها حيث حفر اسمها لكن دون تاريخ الوفاة.

أضافت الصحيفة ان المرأة كانت تحمل حقيبة بها وصيتها حين توفيت وكانت قد فرغت بالفعل من تنظيم تفاصيل جنازتها بما في ذلك الموسيقى التي ترغب في ان تعزف أثناءها.

القهوة تقلل خطر الاصابة بالسكري

■ نيويورك ـ رويترز: أظهرت دراسة جديدة أن عشاق القهوة تنخفض لديهم مخاطر الاصابة بالنوع الثاني من البول السكري مقارنة بمن لا يحتسونها. وقالت بيسا سميث وزملاؤها في جامعة كاليفورنيا بسان دييغو في تقرير ان الاثر الوقائي «المذهل» لوحظ أيضا بين من كانوا يشربون القهوة.

وقالت سميث لرويترز ان الدلائل تشير الى أن هناك عنصرا ما في القهوة يساهم في خفض مخاطر الاصابة بالنوع الثاني من البول السكري ولكنه لم يتضح بعد ماهية هذا العنصر. وأضافت انه ليس الكافيين على الارجح لان نفس الاثر لوحظ لدى من يتناولون القهوة المنزوعة الكافيين.

وتابعت سميث وزملاؤها حالات 910 من الرجال والنساء بلغوا أو تخطوا 50 عاما من العمر ولم يكونوا مصابين بالسكري حين بدأت الدراسة. وتابع فريق البحث الحالات طوال ثمانية أعوام واكتشف أن من يحتسون القهوة وأيضا من كانوا يحتسونها تنخفض لديهم نسبة الاصابة بالنوع الثاني من البول السكري بنسبة 60 في المئة.

ولوحظ الاثر الوقائي للقهوة بعد دراسة عوامل مؤثرة أخرى مثل النشاط البدني وضغط الدم والوزن والتدخين والنشاط الجنسي. كما لوحظ الاثر الوقائي للقهوة حتى لدى المصابين بضعف امتصاص الغلوكوز في الدم وهي اشارة مبكرة على الاصابة بالسكري.

وقالت سميث ان الباحثين لم يتمكنوا من تحديد الكمية المناسبة من القهوة التي يتعين تناولها لضمان تحقيق الاثر الوقائي لها. ولكن المشاركين في الدراسة لم يكونوا ممن يكثرون شرب القهوة. وأضافت أن فريق البحث سيجري المزيد من البحث والدراسة.

40% من الخليجيات يزرن مراكز وعيادات التجميل

■ الرياض ـ يو بي آي: أعلن بروفسور في طب وجراحة التجميل في السعودية أن أكثر من 40إلى 50 في المئة من السيدات الخليجيات يزرن مراكز التجميل مبديات الرغبة في إجراء هذا النوع من العمليات.

وقال الدكتور محمد ديب عيد في تصريح نشر امس الخميس إن السعودية تُعدُّ اليوم من الدول الرائدة في مجال طب وجراحة التجميل حيث توجد مراكز شهيرة ومتخصصة في هذا الجانب. واضاف الدكتور عيد أن السبب وراء الذهاب إلى مراكز التجميل يعود إلى «وجود تشوهات خلقية أو وراثية أو أسباب مكتسبة بسبب العمر أو الولادة المتكررة أو أسباب أخرى».

واوضح أن 90 في المئة من عمليات الوجه تتركز في تجميل الأنف خاصة في المجتمعات العربية حيث يتميز الأنف العربي بسماكة جلده وضخامته وعرضه،مشيرا إلى أن «نسبة كبيرة من الرجال في المجتمع الخليجي تسعى إلى تجميل الأنف وتعديله وإعادته إلى شكله الطبيعي».

ليلى علوي.. في حملة لرعاية الاطفال المصابين بالسرطان

لندن ـ «القدس العربي»:

غادرت لندن عائدة الى القاهرة الفنانة المصرية ليلى علوي التي امضت اسبوعا في العاصمة البريطانية، حيث احتفلت جمعية الاطباء المصريين في بريطانيا بتكريمها مع الفنانة هالة صدقي والفنان يحيى الفخراني. ودعت ليلى علوي خلال الحفل الذي اقيم في فندق تشرشل بلندن الى مساهمة المغتربين المصريين في حملة جمع التبرعات لصالح قسم الاطفال في مستشفى المعهد القومي للاورام بالقاهرة.

احوال الناس

● رئيس الوزراء الاردني **معروف البخيت** اصدر تعميما الى الوزارات والدوائر الحكومية يدعوها الى الاهتمام باللغة العربية الفصحى وتوظيفها في مختلف مجالات الحياة باعتبارها جزءا من الهوية الثقافية للأمة.

جاء ذلك بناء على تنسيب من وزير الثقافة **عادل الطويسي**.

● الدكتورة **دلال النجار** رئيسة المركز الإقليمي للتدريب والدراسات المائية بمصر فازت بمنصب نائب رئيس الاتحاد الدولي للمساحة، وذلك على هامش المؤتمر العالمي للمساحة الذي عقد الاسبوع الماضي بألمانيا.

● الفنانة اللبنانية **نيكول سابا** ستشارك الفنان المصري **هاني سلامة** بطولة الفيلم السينمائي الجديد «السفاح» الذي سيقوم بإخراجه **محمد أنيس**.

● يستعد المخرج العراقي **فلاح إبراهيم** لتقديم مسرحية للفرقة القومية العراقية بعنوان «سقطت سهواً من الحرب» كتبها **يحيى إبراهيم**، وسيؤدي بطولتها الى جانب الممثلة **فرح طه**. المسرحية تتناول موضوعا يعيشه العراقيون حالياً هو العنف والقتل الذي أصبح كابوساً يؤرق كل إنسان.

● **عبد الواحد الراضي** رئيس مجلس النواب المغربي استقبل بمقر المجلس بالرباط كلا من جيرد أندريس كاتب الدولة الالماني وعضو البوندستاغ (البرلمان الفيدرالي) **وشين هايسو** رئيس جمعية الشعب الصيني للصداقة مع الشعوب اللذين يزوران المغرب.

● الفنان المصري **كريم عبدالعزيز** سيعقد قرانه يوم 14 من الشهر الجاري على **هايدي** ابنة **هاني سرور** عضو مجلس الشعب.

● محكمة جنح عابدين بالقاهرة قضت بمعاقبة **محمد عامر** رئيس تحرير جريدة «الحقيقة» التي تصدر عن حزب الأحرار بالحبس سنة وكفالة ألف جنيه لإصداره شيكات بدون رصيد.

● يحتضن المعهد الفرنسي في الرباط اليوم الجمعة حفل تقديم وتوقيع رواية جديدة للصحافي والكاتب المغربي ادريس **كسيكس** حملت عنوان «علبتي السوداء». ومن المنتظر أن يلتقي الكاتب مع قرائه خلال الايام القادمة بعدد من المدن المغربية.

● المخرج المصري **ابراهيم الشقنقيري** سيبدأ خلال أيام تصوير المشاهد الخارجية للمسلسل التليفزيوني «حدث في الهرم» والذي يقوم ببطولته **أحمد عبدالعزيز** و**سيمون**.